

تتر المسلسل بوابة لنجاح العمل الفني أو فشله

الشارة الغنائية للأعمال الدرامية العربية ما بين الإضافة الفنية والإسقاط العشوائي

يعتبر عنوان الكتاب أو غلافه محددًا لفكرة القارئ الأولية عنه، وينطبق الأمر مع المولعين بالدراما العربية إذ أنهم ينتظرون قبل انطلاق كل موسم رمضاني تترات المسلسلات التي يعتزمون متابعتها، عليها تمنحهم لمحة عن أحداث العمل. فتأتي تلك التترات موفقة حينًا وعاكسة لأجواء المسلسل ومحتواه، وأحيانًا أخرى تكون دون معنى أو هدف.



صابر بن عامر
صحافي تونسي

بيجي (ياتي الشجن.. من اختلاف الزمن.. ومنين بيجي الهوى.. من انتلاف الهوى).

كلمات عكست محتوى المسلسل الذي كتبه السيناريست الراحل أسامة أنور عكاشة في خمسة أجزاء وأخرجه الراحل إسماعيل عبد الحافظ. قبل أن يُغامر المؤلفان أيمن بهجت قمر وعمرو ياسين والمخرج مجدي أبو عميرة بإنجاز جزء سادس منه بعد أكثر من عقدين عن عرض الجزء الخامس من المسلسل في العام 1992، ليُمر العمل دون أن يترك أي أثر.

ويعيدنا عن فشل المسلسل بعد رحيل مؤلفه ومخرجه الأصليين، فإن كلمات تتر "ليالي الحلمية" بأجزائه الخمسة قدّمت بشكل مقتضب وسلس معالم قصته التي تناولت تاريخ مصر السياسي والاجتماعي والاقتصادي منذ أوائل الأربعينات وحتى العام 1992، وحجم الصراعات والحاصلات بين الباشوات والطبقة الكادحة، فيكفي أن نستحضر هنا جملة من كلمات التتر التي تقول "لبن ياخذنا الأئين.. ليالي ما الهاش (ليس لها) عينين.. ولغين ياخذنا الحنين.. لواحجة الحرائين"، لنفهم مدى التصاق كلمات شارة البداية والنهائية بمحتوى العمل الذي عُرِض عن تطلعات مجتمع بأكمله في ثلاث مراحل سياسية مختلفة، انطلاقًا من فترة حكم فاروق الأول، مرورًا بثورة 23 يوليو 1952 ووصولًا إلى سياسة الانفتاح الاقتصادي بمصر.

والأمر ذاته عكسته كلمات أغنية المسلسل المصري "بوابة الحلواني" بأجزائه الأربعة (من 1992 إلى 2001) والذي وضع له الكلمات الشاعر سيد حجاب ولحنها الموسيقار بلبل حمدي وقام بأدائها علي الحجار، الذي يعدّ واحدًا من أشهر مطربي تترات المسلسلات المصرية على الإطلاق، وهو الذي قدّم على امتداد ثلاثة عقود أكثر من عشرين مقدّمة غنائية، قبل أن يُقرّر اعتزال غناء تترات المسلسلات نهائيًا في العام 2012 بعد انحصار سوقه مع صعود أسماء جديدة من المطربين والمطربات الذين اختصوا في غناء شارات المسلسلات، على غرار الإماراتي حسين الجسسي واللبناني مروان خوري ومواطنه إليسا والمصرية شيرين عبدالوهاب وبعض فناني المهرجانات الشعبية بمصر.

وتقول كلمات "بوابة الحلواني" في مطلع منها "اللي بنى مصر كان في الأصل حلواني.. وعشان كده (لأجل) ذلك مصر يا أولاد حلوة الحلوات.. وادي وبوادي وبحور وجسور ومواني.. توحيد وفكر وصلاة ترائيل غنا وإبهالات"، وهي تلخيص شامل لأحداثه، وكتب السيناريو محفوظ عبدالرحمن وأخرجه إبراهيم الصحن، في سرد لمرحلة حكم الخديوي إسماعيل بقرية الفارما، التي تم تغيير اسمها إلى مدينة بور سعيد بعد حفر قناة السويس.

ويسيطر المسلسل الضوء على نواح من الحياة الاجتماعية والسياسية الكلي، خاصة من عايشوا نزوة نجاح الدراما المصرية في ثمانينات القرن الماضي، يذكر في هذا الخصوص كلمات تتر البداية لمسلسل "ليالي الحلمية" التي أداها الفنان المصري محمد الحلو عن كلمات لسيد حجاب والحنان ميشيل المصري، والتي يقول مطلعها "منين

ويستلظ المسلسل الضوء على نواح من الحياة الاجتماعية والسياسية



شارة مسلسل «أمر واقع» لم تعكس محتوى العمل



ناصر زيتون غنى «مجبور» و«أزمة ثقة» لمسلسل «الهيبة»

الدالي وأحمد والي، وهي خطوة على جثتها وطرافتها بدت غير مستساغة من جمهور الدراما العربية الذي تعود القوالب الجاهزة، فمتى أتت الفكرة من خارج صندوق المعتاد والمتفق عليه، إلا وكان مصيرها الرفض الذي يصل حد الاستهجان والانتقاد أحيانًا.



«الرحلة» قدّم مخرجه حسام علي، من خلاله، تجربة فريدة من نوعها في الدراما العربية بعرّضه دون شارة بداية

وهو ما حصل مع العمل وطاقته، حيث أكد النقاد أن أغلب المسلسلات العالمية تحتوي على تتر موسيقي خاص بها، ولو أتى في بضع ثوان، وهي كافية للتعبير عن شخصية المسلسل، وابتكار رابط ذهني بين سيرة المسلسل وموسيقى شارته، الأمر الذي افتقده مسلسل «الرحلة» الذي بات موسومًا بالمسلسل المتورّز الزراع في إشارة إلى تتر البداية المقوق، رغم جراءة الفكرة.

وتبشر شارات مسلسلات رمضان 2021، خاصة المصرية منها، بمجموعة من التترات المميّزة التي تقف على أذانها أصوات هامة، على غرار مسلسل «الاختيار 2» الذي سيأتي بصوت الفنان الشهير محمد منير، و«ملوك الجذعة» بصوت الفنان أحمد سعد وبهاء سلطان، و«المذبح» بصوت حمادة هلال وهو من بطولته أيضًا، والأمر ذاته ينسحب على تتر مسلسل «فارس بلا جواز» الذي سيؤديه ويقوم بدور البطولة فيه مصطفى قمر بعد طول غياب عن الدراما.

أما في الدراما اللبنانية فتقف الفنانة نانسي عجرم على أداء تتر مسلسل «راحا»، في حين يمنح زياد برجى صوته لشارة بداية مسلسل «عشرين عشرين» و«تسونجي بالحلال» الذي يقوم بطولته أيضًا.

فأي منها ستظل لسنوات محل ترنيم متواصل بين مدرجات كبرى المسارح العربية الجماهيرية؟ وأي منها ستكون حديث وسائل التواصل الاجتماعي والتحليلات المكثرة على يوتيوب؟ وأي منها سيظلها النسيان بمجرد انتهاء حلقات المسلسل؟ لننتظر!

لمسلسل على السواء، أو لتقل عبارة أدق، أخفقت في إصابتها الهدف، فانت من جمهور الدراما العربية الذي تعود ومثالنا على ذلك تتر المسلسل المصري «أمر واقع» الذي عرض في رمضان 2018 عن سيناريو محمد رفعت وإخراج محمد سلامة.

فشارة المسلسل التي أدتها المطربة المصرية ياسمين علي عن كلمات لتامر حسين والحنان عمرو مصطفى، لم تكن موفقة وهي التي يقول مطلعها «انفعلوا بالخير هتلاقوه (تجدوه).. والعمر لو يجري الحقوه (اركضوا ورائه).. وسدوا (أودوا) باب مفيهوش (دون) أمل.. مشش أي حد تصدقوه (لا تصدقوا) أيا (كان)»، ما يدعو إلى حد ما إلى التفاؤل والإيجابية بالحنان رومانسية، والحال أن قصة العمل تدور في أجواء بوليسية بمناخات يسودها الأكتسن والإثارة والغموض.

ومن هناك سقطت كلمات الأغنية والحنان في العشوائية والافتعال، وكان ملحن وكاتب شارة المسلسل لم يطلع، أصلاً، على السيناريو قبل الاشتغال على الأغنية، فانت الشارة بعيدة كل البعد عن فكرة العمل الذي يخوض وفق وجهة نظر سياسية في نظرية المؤامرة وتأثير وسائل التواصل والإعلام على مصير الدول.

وهذا الإسقاط الموسيقي حصل أيضًا مع تتر مسلسل «الطابع» الذي عرض أيضًا في رمضان 2018، وأداه الفنان المصري وأهل الفشن، حيث لم تات الكلمات معبرة عن بيئة المسلسل الصعيدي، بل جاءت أقرب إلى الأشعار الصوفية المكتوبة بالفصحى، والذي يقول مطلع «خسارة الحر لو داسه الزمان ورماه.. ممًا جرا له يروح عند الخسيس ورماه».

ويؤكد الناقد الفني المصري محمد حمدي هاشم أن عدم موافقة الكلمات لأجواء العمل تعقّت أكثر بمحاولته استغلال نجاح تتر مسلسل «واحة الغروب» (إنتاج 2017)، والذي استخدمت فيه الأشعار الصوفية بغناء الفشن ذاته، الأمر الذي جعل تتر «الطابع» رغم جمال لحنه الذي وضعه طارق الناصر، منفردًا للمتابعين بتكراره لنفس الروح، تقريبًا.

وفي العام ذاته أي 2018، قام المخرج حسام علي باختيار فريد من نوعه، وهو إلغاء التتر تمامًا في مسلسل «الرحلة» للمؤلف نور شيشكلي وسيناريو ثنائي لكل من عمر

وهي صرخة معبرة عن محتوى المسلسل الذي وضعت له السيناريو رفيقة بوجدي وأخرجته على منصور، ليطرح عبر حلقاته العشرين قضية التحرش الجنسي الذي تعرّض له بعض العاملات في مصانع الملابس الجاهزة بتونس ما قبل ثورة 14 يناير 2011.

ورغم مرور أكثر من عقد على إنتاج المسلسل ومن ثمة أغنيته، إلا أن الرباعي ورغم رصيده الغنائي المديد والمتنوع بين المصري واللبناني والتونسي، لا يتوانى عن غنائها في كل حفلاته الكبرى بقرطاج والحمات وغيرهما يطلب متكرر من الجمهور، ما يؤكد رسوخ الأغنية في الذاكرة الجماعية للتونسيين.

محاولات فاشلة

في حين نجحت هذه التترات، وقلة غيرها، في اللولج إلى قلوب المشاهدين بما عبرت عنه من هموم وتطلعات أوطان أو أفراد في حقبة زمنية محددة، فشلت شارات أخرى في تحقيق النجاح لها أو مع تطوّر الأحداث في جزاياه

الثالث والرابع غنى زيتون عن كلمات «أزمة ثقة» التي عبرت كلماتها عن مرحلة الشك التي بات يعيشها جبل (نيم حسن) بعد كل ما عرفه من مؤامرات ودسائس ممن يؤذون الإطاحة به من ذوي القربى قبل أعدائه، وهي التي تقول «ما في حدا قادر يقشع (يغير) المشاعر قبل ما يامن (يؤمن) ويحب.. حتى الوفا رح يطلع بالآخر خاين لأن عميا (لا تبصر) عيون القلب».

كلمات والحنان وأداء لم تقف عند حدود التعبير عن فكرة العمل ومحتواه، بل باتت مطلبًا جماهيريًا «مجبور» على تاديتهما زيتون في كل حلقاته الفنية الكبرى بالوطن العربي.

وهو ما انسحب أيضًا على تتر

المسلسل التونسي «صيد الريم» الذي أداه الفنان صابر الرباعي عن كلمات لحاتم القيزاني والحنان الربيعي، حيث يصرخ الرباعي في مطلع من الأغنية التي مثلت الحدث في رمضان 2008، صادحا بكثير من الشجن «يا صياد.. يا ظالم ما تنساش (لا تنسى).. صيد الريم محال يمشي بلاش (يمز) دون عقاب.. دور يا زمان مهما كان الحق بيان (يظهر) أه يا بن آدم.. جاللي ظالم.. كانك فاهم (إن كنت تفهم)».

والاقتصادية لتلك الحقبة الزمنية، حيث ينقل العمل صورة شبيهة بالواقع ليوميّات المجتمع المصري في أواسط القرن التاسع عشر، بما في ذلك تدخل الطموحات السياسية والاقتصادية للأفراد، وكذلك الصراعات القائمة من أجل إقصاء الآخر والاستفراق بالهيبة والسلطة مع التركيز على مراحل حفر قناة السويس إلى حين افتتاحها في العام 1869، وما بعدها.

أغنيّتان لعمل واحد

أما في الدراما السورية اللبنانية المشتركة، فيظل تتر مسلسل «الهيبة» بجزاياه الأولى الذي جاء تحت عنوان «مجبور» من كلمات علي المولى والحنان فضل سليمان وغناء الفنان السوري ناصيف زيتون، واحدًا من أفضل التترات الغنائية التي عبرت عن قصة العمل وتناقضاته بين الحب والغمر، القوة والخنوع، الكرامة والذل، القسوة والغفران والذي يقول مطلعها «ما تبقى القسوة نوع من الكرامة.. مجبور أقسى، سامحيني ع القسوة سلف (مسبقًا).. مجبور هلق (حاليًا) أوقف مع جروحي طرف (قليلًا)».

ومع تطوّر الأحداث في جزاياه الثالث والرابع غنى زيتون عن كلمات «أزمة ثقة» التي عبرت كلماتها عن مرحلة الشك التي بات يعيشها جبل (نيم حسن) بعد كل ما عرفه من مؤامرات ودسائس ممن يؤذون الإطاحة به من ذوي القربى قبل أعدائه، وهي التي تقول «ما في حدا قادر يقشع (يغير) المشاعر قبل ما يامن (يؤمن) ويحب.. حتى الوفا رح يطلع بالآخر خاين لأن عميا (لا تبصر) عيون القلب».

كلمات والحنان وأداء لم تقف عند حدود التعبير عن فكرة العمل ومحتواه، بل باتت مطلبًا جماهيريًا «مجبور» على تاديتهما زيتون في كل حلقاته الفنية الكبرى بالوطن العربي.

وهو ما انسحب أيضًا على تتر

المسلسل التونسي «صيد الريم» الذي أداه الفنان صابر الرباعي عن كلمات لحاتم القيزاني والحنان الربيعي، حيث يصرخ الرباعي في مطلع من الأغنية التي مثلت الحدث في رمضان 2008، صادحا بكثير من الشجن «يا صياد.. يا ظالم ما تنساش (لا تنسى).. صيد الريم محال يمشي بلاش (يمز) دون عقاب.. دور يا زمان مهما كان الحق بيان (يظهر) أه يا بن آدم.. جاللي ظالم.. كانك فاهم (إن كنت تفهم)».